إهداء

إلى الشهيد سيد قطب.

ظلموه بالباطل.

فسلط الله عليهم نظير جيد(شنودة)..

يظلمهم.. بالباطل!!

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

الفتنة الطائفية!!.

هذا موضوع لم أتخيل أن أكتب فيه أبدا.

وبالفعل، لم أبدأ الكتابة فيه إلا بعد أن تجاوزت الستين.

وطوال عمري الذي عشته قبل ذلك كنت أرفض طول الوقت أن أعترف بمجرد وجود هذه الفتنة المدعاة.

كانت بالنسبة لي هواجس مفزوعين أو خيالات مهووسين أو مبالغات هنا وهناك لا يرضى بها الدين.

وكنت أؤكد طول الوقت أنها مجرد فرقعات صوتية تطلقها حثالات خائنة مرتبطة بالخارج لا تنتمي لروح الأمة ولا تشكل أهمية ولا خطرا.

وكنت واثقا أن الجسد السليم للأمة قادر على مواجهة هذه الحثالات قدرة الجسد البشري على تحمل روائح النتن والماء الملوث، فضلا عن أنها ليست من جسد الأمة تماما كما أن ما يخرج من الإنسان ليس جزءا منه.

لم أعترف، بل لقد كان احتمال الاعتراف مجلبة للعار والخزي.

مصر العظيمة لا يمكن أن يحدث فيها فتنة، ليس لأن النصارى قلة أو كثرة، ضعفاء أو أقوياء، أنقياء أم مخترقين، بل لأن روح مصر العظيمة الحرة تأبى ذلك، والوصايا العمرية أمرتنا أن نضرب ابن الأكرمين من أجل قبطي.

ستون عاما، احذف من بداياتها للطفولة ما شئت، ظللت خلالها أرفض الاعتراف، حتى أدركت حزينا مصعوقا مخزيا أنني أخطأت.

أعترف، أخطأت.

بل توجد فتنة طائفية، حتى لو كانت منبتة الصلة بالدين وثيقة الصلة بالصهاينة والصليبيين، وحتى لو اعترف وزير استخبارات إسرائيل أنه وراءها، حتى، فهي ترتدى رداء الفتنة الطائفية، لم تكن موجودة حتى عام ١٩٧١، ثم وجدت.

أنكرتها بكل قواي واستنكرتها لكنها وجدت لم يمنعها إنكاري ولا استنكاري، تماما كما لا يمنع استنكارك فحص الحمض النووي من أن يقر بأن هذا المخلوق ليس ابنك وأنه ابن سفاح.

لا تقتصر الفجيعة على الاكتشاف، فالاكتشاف في حد ذاته موجع.

أما عدم الاكتشاف فإنه فاجع، وكلما طالت المدة زاد الوجع وفاض الجزع.

لم أصدق الواقع، ولم أكتشف الأمر من تلقاء نفسي، وإنما ذات ليلة رمضانية جاء إلىّ شاب نبيل-أسميه كذلك في المقالة الأولى- حيث أصر ألا أبوح باسمه كي لا أنقص من أجره. لكنني أصرح باسمه في آخر الكتاب. جاء ليكشف لي ما لم أكن أعرف أو أتخيل. وقد فضلت عدم ذكر اسمه الآن ليعيش القارئ الأحداث كما عشتها مع هذه المقالات التي نشرت عبر الأعوام الأخيرة. نشرت ممزوجة بالألم معجونة بالغضب متأججة بالدهشة والاستنكار مجللة بالعار.

أعترف، وأطأطئ الرأس أمام من يتهمني بالتقصير لأنني لم أفطن للكارثة في الوقت المناسب. أعترف، وأعترف أيضا بتقصيري وعجزي.

وأعترف أنني مع المقالة الأخيرة في هذا الكتاب كنت قد انتويت التوقف عن الكتابة نهائيا، وكنت غاضبا وثائرا وحزينا، كنت أريد أن أتوقف احتجاجا.

وهكذا أعلنت في مقالتي الأخيرة، لكن الله القوي القهار المعز المذل شاء شيئا آخر، كانت المقالة قد نشرت في مجلة المختار الإسلامي في السابع من يناير ..

وانفجرت الثورة في ٢٥ يناير.

فلله الحمد والمنة.